Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إذن الاحتفال بالصنعة والتصوير عند عبد القاهر هو محك الحكم فى هذا المجال . لأن « سبيل هذه المعانى سبيل الأصباغ التى تعمل منها الصور والنقوش فكما أنك ترى الرجل قد تهدّى فى الأصباغ التى عمل منها الصورة والنقش فى ثوبه الذى نسج إلى ضرب من التخير والتدبر فى أنفس الأصباغ وفى مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه إياها إلى ما لم يهتد إليه صاحبه فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب ، وصورته أغرب ، كذلك حال الشاعر »(٧٧) .

فالتخييل الذى يتخذ مادته من الصورة ــ عند عبد القاهر ــ يقترن بالكذب باعتباره عدولاً عن الحقيقة والواقع ، وبالتالى فإن وسائله المحاكية يخرج منها التشبيه والاستعارة باعتبارهما الأدائين البارزين فى القرآن الكريم ، إذن ليس من قبيل التجنى أن يكون حرص عبد القاهر على تنزيه القرآن دافعاً وراء اعتماده الكذب أساساً للتخييل .

وعلى غير هذا التأسيس ربط حازم بين المخيلات وقدرتها على التأثير « فيكون شعراً أيضاً ما هذه صفته باعتبار ما فيه من المحاكاة والتخييل ، لا من جهة ما هو كاذب ، كما لم يكن شعراً من جهة ما هو صادق ، بل بما كان فيه أيضاً من التخييل .

فلاختصاص الشعر باستعمال المحاكاة فى المقدمات الكاذبة من حيث يخيل فيها أو بها ، لا من حيث هى كاذبة وإن شارك جميع الصنائع فى ما اختصت به ،.وكان له أن يخيل فى جميع ذلك ، فالتخييل هو المعتبر فى الصناعة ، لاكون الأقاويل صادقة أو كاذبة »(٧٨) فربط عملية الإبداع بنشاط الخيال الفاعل فيها عند كل من القرطاجنى وعبد القاهر ، يعنى أن ثمة أصلاً ترتد إليه المحاكاة ، ولا يعنى ذلك أن شروط الواقع المقلَّد لازالت ناجزة فى « المؤلف الجديد » ، بل إن التناسب الذى يعمل على توفيق الأوضاع فى صور هو ما يجب أن يعتد به عند التلقى . « واعلم أن منزلة حسن اللفظ المحاكى به ، ومن المحاكاة بمنزلة

(٧٧) دلائل الإعجاز (تحقيق رشيد رضا ط (٤) دار المنار) ص ٧١ .

(٧٨) منهاج البلغاء ص ٦٣ .